التوكل عليه، والاستعانة به، والانطراح بين يديه كالإناءِ[1] المَثْلُوم المكسور الفارغ الذي لا شيءَ فيه، يتطلعُ إلى قَيِّمِه ووَلِيِّه أن يَجْبُره[2]، ويَلُمَّ شَعَثَه، ويُمِدَّه من فضلِه ويستره، فهذا الذي يُرجَى له أن يتولى الله هدايتَه، وأن يَكشِفَ له ما خفي على غيره من طريق هذه الهجرة، ومنازلها.

فصل

ورأس مال[3] الأمر وعموده في ذلك إنما هو: دوامُ التفكر وتدبر آيات القرآن[4]، بحيث[5] يستولي على الفكر، ويَشْغَل القلبَ، فإذا صارتْ معاني القرآنِ مكانَ الخواطرِ من قلبه وهي الغالبةُ عليه، بحيث يَصير إليها مَفْزَعُه ومَلْجَؤُه، تَمَكَّنَ حينئذٍ الإيمانُ من قلبه[6]، وجلس على كرسيه، وصار له التصرفُ، وصار هو الآمر[7] المطاع أمره؛ فحينئذٍ يستقيم له سَيْرُه، ويتضح له الطريق، وتراه ساكنًا وهو يُبارِي الريحَ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[8].

---

(١) ط: «انطراح».
(٢) ط: «يجده».
(٣) «مال» ساقط من ط.
(٤) ط، ق: «الله».
(٥) ط، ق: «حيث».
(٦) «وهي الغالبة... قلبه» ساقطة من ط، ق.
(٧) ط، ق: «الأمير».
(٨) سورة النمل: ٨٨.

فصل

فإن قلت: إنك قد أشرتَ إلى مقام عظيم فافتَحْ لي بابَه، واكشفْ لي حِجابَه، وكيف تَدَبُّرُ القرآن وتفهُّمُه[1] والإشرافُ على عجائبِه وكنوزِه؟ وهذه تفاسير الأئمة بأيدينا، فهل في البَيْنِ غيرُ ما ذكروه؟

قلت: سأضرب لك أمثالاً تحتذي عليها، وتجعلها إمامًا لك في هذا المقصد.

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾[2].

فعهدي بك إذا قرأت هذه الآيات[3]، وتطلَّعتَ إلى معناها وتدبرتَها؛ فإنما تطلع منها على أن الملائكة أتوا إبراهيم في صورة أضيافٍ[4] يأكلون، وبَشَّروه بغلام عليم، وأن امرأته عَجِبتْ من ذلك؛ فأخبرتها الملائكة أن الله قال ذلك، ولم يجاوز[5] تدبرك غير ذلك.

---

(١) ق: «فهمه».
(٢) سورة الذاريات: ٢٤ـ ٣٠.
(٣) ط: «الآية».
(٤) ط: «الأضياف».
(٥) ط: «يتجاوز».

فاسمع الآن بعضَ ما في هذه الآيات من الأسرار[1].

وكم قد تضمنتْ من أنواع[2] الثناء على إبراهيم؟

وكيف جمعتْ آداب[3] الضيافة وحقوقَها؟

وكيف يُراعَى الضيفُ[4]؟

وما تضمنتْ من الرد على أهل الباطل من الفلاسفة والمعطلة.

وكيف تضمنتْ عَلَمًا عظيمًا من أعلام النبوة[5]؟

وكيف تضمنتْ جميعَ صفاتِ الكمال، التي مَرَدُّها[6] إلى العلم والحكمة؟

وكيف أشارتْ إلى دليل إمكان المعاد بألطف[7] إشارة وأوضحها، ثم أفصحتْ بوقوعه؟

وكيف تضمنت الإخبارَ عن عدل الرب وانتقامه من الأمم المكذِّبة؟

---

(١) انظر بعض ما هنا في «الكشاف» (٤/ ٢٩ـ ٣٠) وتفسير الرازي (٢٨/ ٢١٠ـ ٢١٤) و«جلاء الأفهام» للمؤلف (ص ٣٩٤ـ ٣٩٧).

(٢) «أنواع» ساقطة من ط.

(٣) «آداب» ساقطة من ط.

(٤) «وكيف يراعى الضيف» ساقطة من ط.

(٥) «وكيف... النبوة» ساقطة من ق.

(٦) ط: «ردها».

(٧) في الأصل: «ألطف».

وتضمنتْ ذكرَ الإسلامِ والإيمانِ والفرقَ بينهما.

وتضمنتْ بقاء آيات الرب الدالة على توحيدِه، وصِدْقِ رسله، وعلى اليوم الآخر.

وتضمنتْ أنه لا ينتفع بهذا كله إلا من في قلبه خوفٌ من عذاب الآخرة، وهم المؤمنون بها، وأما من لا يخاف الآخرة ولا يؤمن بها، فلا ينتفع بتلك الآيات.

فاسمع الآن بعض تفاصيل[1] هذه الجملة:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ افتتحَ الله سبحانَه القصةَ بصيغة موضوعة للاستفهام، وليس المراد به[2] حقيقته من الاستفهام[3]. ولهذا قال بعض الناس[4]: إن «هل» في مثل هذا الموضع بمعنى «قد» التي تقتضي التحقيق.

ولكن في ورود الكلام في مثل هذا الاستفهام سر لطيف، ومعنى بديع، فإن المتكلم إذا أراد أن يخبر مخاطَبَه[5] بأمر عجيب ينبغي الاعتناءُ به، وإحضارُ الذهن له، صَدَّرَ له الكلامَ بأداةٍ تُنَبِّهُ[6] سمعَه وذهنَه للخبر، فتارةً يُصدِّره بـ«ألا»، وتارةً يُصدِّره بـ«هل»، [فيقولُ: هل علمتَ ما كان من كيتَ وكيتَ؟ إما مُذكّرًا به، وإما

---

(١) في الأصل: «تفصيل».

(٢) ط: «بها».

(٣) ط: «حقيقة الاستفهام».

(٤) انظر «تأويل مشكل القرآن» (ص ٥٣٨).

(٥) ط: «المخاطب».

(٦) ط: «بأداة الاستفهام لتنبيه».

واعظًا له مخوِّفًا][1]، وإما منبِّهًا على عظمةِ ما يُخْبَر به، وإما مقرِّرًا له.

فقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾[2]، و﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾[3]، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾[4]، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾[5] متضمن لتعظيم هذه القصص، والتنبيه على تدبرها، ومعرفة ما تضمنته.

وفيه[6] أمر آخر، وهو التنبيهُ على أن إتيان هذا إليك عَلَمٌ من أعلام النُّبوة؛ فإنه من الغيب الذي لا تعلمه أنت ولا قومك، فهل أتاك من غير إعلامنا وإرسالنا وتعريفنا أم لم يأتك إلا مِنْ قِبَلِنَا؟

فانظر ظهور هذا الكلام بصيغة الاستفهام، وتأمل عِظَمَ موقعه في[7] جميع موارده يشهد أنه من الفصاحة في ذروتها العليا.

وقوله: ﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾ متضمن لثنائه على خليله إبراهيم؛ فإن في ﴿المكرمين﴾ قولين[8]:

---

(١) سقط من الأصل.
(٢) سورة النازعات: ١٥.
(٣) سورة ص: ٢١.
(٤) سورة الغاشية: ١.
(٥) سورة الذاريات: ٢٤.
(٦) ط: «ففيه».
(٧) ط: «من».
(٨) في الأصل: «قولان».

أحدهما: إكرام إبراهيم لهم؛ ففيه مدحٌ له[1] بإكرام الضيف.

والثاني: أنهم مكرمون عند الله؛ كقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[2]، وهو متضمن أيضًا لتعظيم خليله ومدحه؛ إذ جعل ملائكته المكرمين أضيافًا له.

فعلى كلا التقديرين فيه مدح لإبراهيم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ متضمنٌ لمدحٍ[3] آخر لإبراهيم حيث ردَّ عليهم أحسنَ مما حَيَّوه به؛ فإن تحيتهم باسم منصوبٍ متضمن لجملةٍ فعليَّةٍ، تقديره: سلَّمنا عليك سلامًا، وتحيةُ إبراهيم لهم باسمٍ مرفوع متضمن لجملةٍ اسميّةٍ، تقديره: سلامٌ ثابتٌ أو دائم أو مستقرٌّ عليكم. ولا ريبَ أن الجملة الاسمية تقتضي الثبوت واللزوم، والفعلية تقتضي التجدد والحدوث؛ فكانت تحية إبراهيم أكملَ وأحسنَ[4].

ثم قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾، وفي هذا من حُسْنِ مخاطبة الضيف والتذمُّم منه[5] وجهان من المدح:

---

(١) ط: «مدح إبراهيم».

(٢) سورة الأنبياء: ٢٦.

(٣) ط: «بمدح».

(٤) انظر «التبيان في علم البيان» لابن الزملكاني (ص ٥٠ـ ٥١). وردّ عليه أبو المطرف أحمد بن عميرة في «التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات» (ص ٦٦ـ ٦٧)، ولم يُسلِّم بهذا الفرق.

(٥) ط: «فيه».

أحدهما: أنه حذف المبتدأ، والتقدير أنتم منكرون، فتذمَّم منهم، ولم يُواجِهْهم بهذا الخطاب لما فيه من بعض الاستيحاش، بل قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾، ولا ريب أن حذف المبتدأ في هذا من محاسن الخطاب[1]، وكان النبي ﷺ لا يُواجِهُ أحدًا بما يكرهُه، بل يقول: «ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا، ويفعلون كذا»[2].

والثاني: قوله ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾؛ فحذف فاعل الإنكار، وهو الذي كان أنكرهم؛ كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿نَكِرَهُمْ﴾[3]، ولا ريب أن قوله: ﴿مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ألطفُ من أن يقول: أنكرتُكم.

وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ متضمنٌ وجوهًا من المدح، وآداب الضيافة، وإكرام الضيف:

منها: قوله ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾، والروغانُ: الذهاب في سرعة[4] واختفاءٍ، وهو يتضمن المبادرة إلى إكرام الضيف، والاختفاءُ ترك

---

(١) «بل قال... الخطاب» ساقطة من ط.

(٢) وردت أحاديث كثيرة بهذا الأسلوب، مثل قوله ﷺ: «ما بالُ أقوامٍ يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟». أخرجه البخاري (٧٥٠) عن أنس. وقوله: «ما بالُ أقوامٍ يتنزهون عن الشيء أصنعُه؟»، أخرجه البخاري (٦١٠١، ٧٣٠١) ومسلم (٢٣٥٦) عن عائشة.

(٣) ط: «بسرعة».

(٤) ط: «يعرض».

تخجيله وألا يُعرِّضَه[1] للحياء، وهذا بخلاف من يتثاقل، يَتبارَدُ على ضيفِه، ثم يبرز بمرأًى منه، ويَحُلُّ صُرَّةَ النفقة، ويَزِنُ ما يأخذ، ويتناول الإناء بمرأى منه، ونحو ذلك مما يتضمن تخجيل الضيف وحياءه، فلفظةُ «راغ» تنفي هذين الأمرين.

وفي قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ مدحٌ آخر، لما فيه من الإشعار بأن كرامة الضيف مُعَدَّةٌ حاصلةٌ عند أهله، وأنه لا يحتاج أن يَستقرِضَ من جيرانه، ولا يذهب إلى غير أهله، إذْ نُزُلُ[2] الضيفِ حاصل عندهم.

وقوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦﴾ يتضمن ثلاثة أنواع من المدح:

أحدها: خدمة ضيفه بنفسه، فإنه لم يرسل به، وإنما جاء به بنفسه[3].

الثاني: أنه جاءهم بحيوان تام لم يأتهم ببعضه؛ ليتخيّروا من أطايب لحمه ما شاءوا.

الثالث: أنه سمين ليس بمهزولٍ، وهذا من نفائس الأموال، ولدُ البقرة السمين، فإنهم يُعْجَبون به، فمن كرمه هان عليه ذَبْحُه وإحضارُه.

---

(١) ط، ق: «قرى».
(٢) في الأصل: «نفسه».
(٣) ط: «آداب أخرى».

وقوله: ﴿إليهم﴾ متضمنٌ لمدحٍ وأدبٍ آخر[1]، وهو إحضار الطعام إلى بين أيدي[2] الضيف، بخلاف من يُهيِّئُ الطعامَ في موضع، ثم يُقِيم ضيفَه؛ فيُورِدُه عليه.

وقوله: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧﴾ فيه مدحٌ وأدب آخر[3]؛ فإنه عرض عليهم الأكل بقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧﴾، وهذه صيغة عرضٍ مؤذنة بالتلطف، بخلاف من يقول: ضعوا أيديكم في الطعام، كلوا، تقدموا، ونحو ذلك.

وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾؛ لأنه لما رآهم لا يأكلون من طعامه أضمر منهم خوفًا أن يكون منهم[4] شر؛ فإن الضيف إذا أكل من طعام ربِّ المنزل اطمأنَّ إليه وأنس به، فلما علموا منه ذلك ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾، وهذا الغلام إسحاق لا إسماعيل؛ لأن امرأته عَجِبَتْ من ذلك، وقالت: عجوزٌ عقيمٌ لا يُولَد لمثلي، فأنى [لي][5] بالولد؟ وأما إسماعيل فإنه من سُرِّيته هاجرَ، وكان بِكْرَه وأولَ ولدِه، وقد بين سبحانه في سورة هود[6] في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۝٧١﴾ في هذه

---

(١) ط: «يدي».
(٢) ط: «آداب أخر».
(٣) ط: «معهم».
(٤) من ط، ق.
(٥) الآية: ٧١.
(٦) ط: «فصكت».

القصةِ نفسِها.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾؛ فيه بيان ضعف عقل المرأة وعدم ثباتها؛ إذ بادرتْ إلى النُّدبةِ وصَكِّ[1] الوجهِ عند هذا الإخبار.

وقوله: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩﴾ فيه حسن أدب المرأة عند خطاب الرجال، واقتصارها من الكلام على ما يتأدى به الحاجة، فإنها حذفت المبتدأ، فلم تقل: أنا عجوز عقيم، واقتصرت على ذكر السبب الدال على عدم الولادة، لم تذكر غيره، وأما في سورة هود فذكرتِ السببَ المانعَ منها ومن إبراهيم، وصرَّحتْ بالتعجب[2].

وقوله: ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ متضمن لإثبات صفة القول [له][3].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٠﴾ متضمنٌ لإثبات صفة الحكمة والعلم اللذين هما مصدرُ الخلق والأمر، فجميعُ ما خلقه سبحانه صادرٌ عن علمه وحكمته، وكذلك أمْره وشرعُه مصدرُه عن علمه وحكمته.

والعلم والحكمة متضمنان لجميع الكمال، فالعلم يتضمن

---

(١) ط، ق: «بالعجب».
(٢) من ط.
(٣) من ط، ق.

الحياة ولوازم كمالها من القومية، [والقدرة][1]، والبقاء، والسمع، والبصر، وسائر الصفات التي يستلزمها العلم التَّام.

والحكمة تتضمنُ كمالَ الإرادة، من[2] العدل، والرحمة، والإحسان، والجود، والبر، ووَضْع الأشياء مواضعَها على أحسن وجوهها، ويتضمن إرسال الرسل، وإثبات الثواب والعقاب.

كلُّ هذا يُعلَم[3] من اسمه «الحكيم»، كما هي طريقة القرآن في الاستدلال على هذه المطالب العظيمة بصفة الحكمة، والإنكار على من يزعم أنه خلق الخلقَ عبثاً أو سُدىً أو باطلاً. فنفسُ[4] حكمته تتضمن الشرعِ والقَدَر، والثواب والعقاب، ولهذا كان أصح القولين أن المعاد يُعلَم بالعقل، وأن السمع ورد بتفصيل ما يدل العقل على إثباته.

ومن تأمل طريقة القرآن وجدها على ذلك، وأنَّ الله سبحانه يَضْرِب لهم الأمثال المعقولة التي تَدلُّ على إمكان المعاد تارةً ووقوعه أخرى، فيذكر أدلة القدرة الدالة على إمكان المقدور[5]، وأدلة الحكمة المستلزمة لوقوعه.

ومن تأمل أدلّة المعاد في القرآن وجدها كذلك مُغنِيةً ـ بحمد

---

(١) ط، ق: «و».
(٢) ط: «العلم».
(٣) ط: «فحينئذ صفة».
(٤) ط، ق: «المعاد».
(٥) ط: «الإنصاف».

الله ومِنَّتِه على عبادِه ـ عن غيرها، كافية شافية مُوصِلةً إلى المطلوب بسرعة، متضمّنة للجواب عن الشُّبَه العارضة لكثير من الناس.

وإن ساعدَ التوفيقُ من الله كتبتُ في ذلك سفرًا كبيرًا، لما رأيتُ في الأدلة التي أرشد إليها القرآن من الشفاء، والهدى، وسرعة الإيصال[1]، وحسن البيان، والتنبيه على مواضع الشبه والجواب عنها بما ينثلجُ له الصدرُ؛ ويُشْرِقُ[2] معه اليقينُ، بخلاف غيره من الأدلة، فإنها على العكس من ذلك، وليس هذا موضع التفصيل[3].

والمقصود أن مصدر الأشياء خلقًا وأمرًا[4] عن علم الرب وحكمته.

واختصت هذه القصة [بذكر][5] هذين الاسمين لاقتضائها لهما[6]؛ لتعجُّبِ النفوس من تولد مولودٍ بين أبوين لا يُولَد لمثلهما عادة، وخفاء العلم بسبب هذا الإيلاد، وكون الحكمة اقتضت جريانَ هذه الولادة على [غير][7] العادة المعروفة؛ فذكر في الآية

---

(١) ط، ق: «يكثر».

(٢) ذكر المؤلف بعض هذه الأدلة وتكلم عليها في «إعلام الموقعين» (١/ ١٣٨ـ ١٤٨).

(٣) ط، ق: «مصدر الخلق والأمر».

(٤) من ط، ق.

(٥) ط: «لاقتضائها».

(٦) من ط، ق.

(٧) ط: «لهلاك».

اسم العلم والحكمة المتضمن لعلمه سبحانه بسبب هذا الخلق وغايته، وحكمته في وضعه موضعه من غير إخلالٍ بموجب الحكمة.

ثم ذكر سبحانه قصةَ الملائكة في إرسالهم لإهلاك[1] قوم لوط، وإرسال الحجارة المسَوَّمَة عليهم، وفي هذا ما يتضمن تصديقَ رسله وإهلاكَ المكذِّبين لهم، والدلالة على المعاد والثواب والعقاب؛ لوقوعه عيانًا في هذا العالم، وهذا من أعظم الأدلة الدالة على صدق رسله وصحةِ[2] ما أخبروا به عن ربهم.

ثم قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[3]، ففرَّقَ بين الإسلام والإيمان هنا لسرٍّ اقتضاه الكلام؛ فإن الإخراج هنا عبارة عن النجاة، فهو إخراج نجاةٍ من العذاب، ولا ريب أن هذا مختصٌّ بالمؤمنين المتبعين للرسل ظاهرًا وباطنًا.

وقوله: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ لما كان الموجودون[4] من المخرجين أوقع اسم الإسلام عليهم؛ لأن امرأة لوط كانت من أهل هذا البيت، وهي مسلمةٌ في الظاهر، فكانت في البيت الموجودين لا في القوم الناجين. وقد أخبر الله سبحانه عن خيانة امرأة لوط،

---

(١) : «لصحة».

(٢) سورة الذاريات: ٣٥ـ ٣٦.

(٣) في الأصل: «الموجودين».

(٤) في الأصل: «قومه».

وخيانتُها أنّها كانت تدلُّ قومَها[1] على أضيافِه وقَلْبُها معهم، وليست خيانةَ فاحشةٍ، فكانت من أهل البيت المسلمين ظاهرًا، وليست من المؤمنين الناجين.

ومن وَضَع دلالاتِ[2] القرآن وألفاظه مواضعها، تبينَ له من أسرارِه وحِكَمِه ما يَهُزُّ[3] العقول، ويعلم معه تنزُّلَه[4] من حكيم حميد.

وبهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور، وهو أن الإسلام أعمُّ من الإيمان، فكيف استثنَى[5] الأعمَّ من الأخصِّ، وقاعدة الاستثناء تقتضي العكس؟

وتبينَ أن المسلمين مُستثنَيْنَ[6] مما وقع عليه فعل الوجود، والمؤمنين غير مستثنين منهم[7]، بل هم المُخرَجون الناجون[8].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾[9]،

---

(١) ط: ق: «دلالة».
(٢) ط: ق: «يبهر».
(٣) ط: «أنه تنزيل».
(٤) ط: «استثناء».
(٥) كذا في الأصل بالياء، وفي ط، ق: «المستثنين».
(٦) ط: «منه».
(٧) انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على الآيتين بنحو ما هنا في كتاب «الإيمان الأوسط» ضمن «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٧٣ـ ٤٧٤).
(٨) سورة الذاريات: ٣٧.
(٩) سورة هود: ١٠٣.

فيه دليل على أن آيات الله سبحانه وعجائبه التي فَعَلَها في هذا العالم وأبقى آثارَها دالَّةً عليه وعلى صدقِ رسله، إنما ينتفع بها من يؤمن بالمعاد، ويخشى عذاب الله؛ كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾[2].

فإن من لا يؤمن بالآخرة غايتُه أن يقول: هؤلاء قومٌ أصابَهم الدهرُ كما أصابَ غيرَهم، ولا زال الدهرُ فيه الشقاءُ[3] والسعادة، وأما من آمن بالآخرة وأشفقَ منها، فهو الذي ينتفع بالآيات والمواعظ.

والمقصود بهذا إنما هو التثميل والتنبيه[4] على تفاوتِ الأفهام في معرفة القرآن، واستنباطِ أسراره، وإثارةِ[5] كنوزه، واعتبِرْ بهذا غيرَه، والفضلُ بيد الله يؤتيه من يشاء.

فصل

والمقصود أن القلب لما تحوَّل لهذا السفر طلبَ رفيقًا يَأْنَسُ به في السفر، فلم يجد[6] إلا معارضًا مناقضًا، أو لائمًا بالتأنيب

---

(١) سورة الأعلى: ١٠.
(٢) ط: «الشقاوة».
(٣) ط: «التنبيه والتمثيل».
(٤) ط: «آثار».
(٥) ط: «فلا يجد».
(٦) «ومعرضا» ساقط من ط.